المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 15 -- العدد 01 -- جوان 2023 ص 32 - 48

استغلال الشهادات الحية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية 1962 – 1954

Exploiting the alive testimonies in writing the history of the liberation revolution 1954-1962

رحمان لعروسي- طالب دكتوراه ahmedmoussa27011985@gmail.com	تاريخ الجزائر المعاصر	جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس/ الجزائر
جبران لعرج – أستاذ محاضر .أ. oustadjebrane@outlook.fr	تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر	جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس/ الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/03/29 **القبول**: 2023/06/19 **النشر**: 2023/06/30

ملخص:

تعتمد الكتابة التاريخية على توظيف المصادر المتنوعة، كمنهجية رئيسية هدفها تقوية الدراسة العلمية في الحقل التاريخي، وهذا من خلال العودة إلى صانعي الحدث التاريخي، وهو ما يتعلق جوهريا بتاريخ الثورة التحريرية.

لذا تمثل الشهادات الحية لصانعي الثورة التحريرية الجزائرية، والمشاركين فيها أحد أهم مصادر تدوين وتوثيق التاريخ وصوت الذاكرة الوطنية بكل انتصاراتها لتبلغها إلى أجيال ما بعد الاستقلال.

وبخصوص توثيق الثورة الجزائرية والعناية بتراثها والقيام بنشره ودراسته، تندفع حاليا على المستوى الوطني والجهوي مجهودات فعالة لتوفير تلك المادة التاريخية اللازمة، أي توفير جميع أنواع الوثائق و الوسائل المرافقة لها؛ ومنها تلك الشهادات الحية للفاعلين السياسيين والعسكريين التي تدخل في إطار تلك المرحلة (1954 – 1962)،وهذا ما دفع بالباحثين إلى الولوج إلى المصادر التي نبعت من رحم الثورة الجزائرية، أي من أفواه الفاعلين للحدث، ومن المؤسسات العمومية والسياسية والعسكرية التي عملت على تسجيل الشهادات المتعلقة بأحداث هذه المرحلة التاريخية وتطوراتها.

كلمات مفتاحية: الجزائر؛ الثورة؛ الشهادات؛ التوثيق؛ الفاعلين.

Abstract:

The historical writing relies on the use of various resources as a basic approach that aims to reinforce the scientific study at the field of history, counting on the activated elements of the historical events and in particular the history of the liberal revolution.

Thus , the live testimonials of the Algerian revolution are considered as one of the most important resources to record and document the history and the voice of the national memory with all its victories, in order to transmit it to the next generations after the independence.

Actually, there are effective efforts lunge to provide documents of the Algerian revolution to preserve its heritage, in order to deliver and study this historical matter on the national and regional scale. Indeed, supplying the historical matter means the necessity of gathering all the documents and their materials such as: the live testimonials of the politics and militants who witnessed this period (1954-1962). These testimonials were a motive for researchers to step inside the resources that were rised from the heart of the Algerian revolution like the persons who were activated in these events that were affiliated to the political and military establishment of the government that worked hardly to record this period and its development.

Keywords : Algeria; Revolution; Testimonial; Documents; Activated.

مقدمة:

تمثل الثورة الجزائرية إحدى القضايا الجوهرية والمحطات المقدسة في تاريخ وذاكرة الشعب والدولة الجزائرية، وما يزيد من قدسيتها ومكانتها هو الاعتراف الدولي الذي حظيت به في الكثير من دول العالم والمنظمات الدولية، حيث رصدت ثورة الفاتح من نوفمبر في مواثيقها وإعلاناتها التي قامت بها، وطرق إرادتها منذ انطلاقتها إلى الاستقلال، دروسا للعالم جعلها تتموقع كأحد التجارب الرائدة في تاريخ الدول التي تعرضت للاستعمار التقليدي والحديث على حد السواء.

تولي الجزائر أهمية كبيرة منذ الاستقلال لتاريخ وذاكرة الثورة التحريرية(1954 – 1962)، حيث عمدت على توثيق أحداثها، ومعاركها، والتعريف بأبطالها وذلك من خلال عدة قنوات مكتوبة (الكتب، الدراسات الأكاديمية، والمذكرات،...)، وغير مكتوبة (التليفزيون، الإذاعة، والشهادات الحية...)، كما سعت إلى الاحتفال وترسيم جميع الأيام الوطنية ذات الرمزية الثورية حيث جعلت يوم 8 ماي يوما وطنيا للذاكرة، وهذا بموجب قانون رقم 20- 09 المؤرخ في 11 يوليو 2020، وحاولت تعزيز البرامج المؤسساتية التي تعني بتاريخ الثورة الجزائرية، وأعلامها والتي تقام داخل المؤسسات التربوية والثقافية (المدارس، المكتبات العمومية، المتاحف...)،وقامت بتأطير البحث المعمق حول تاريخ الثورة من خلال

مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي وإنشاء المخابر ذات الصلة بالتاريخ، بالإضافة إلى المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

ومن مصادر توثيق الثورة التحريرية، الشهادات الحية لصانعي أحداثها والمشاركين فيها والتي تعد أحد أهم مصادر تدوين وتوثيق التاريخ وصوت الذاكرة الوطنية بكل انتصاراتها لتبليغها إلى أجيال ما بعد الاستقلال.

وبخصوص تدوين تاريخ الثورة الجزائرية والعناية بأحداثها والقيام بنشرها ودراستها تندفع حاليا على المستوى الوطني والجهوي مجهودات فعالة لتوفير تلك المادة التاريخية اللازمة، أي توفير جميع أنواع الوثائق والوسائل المرافقة لها؛ ومنها شهادات الفاعلين السياسيين والعسكريين التي تدخل في إطار تلك المرحلة (1954 – 1962) وهذا ما دفع بالباحثين إلى الولوج إلى المصادر التي نبعت من رحم الثورة الجزائرية، أي من أفواه وأقلام الفاعلين للحدث.

وبناء على ما سبق ذكره، تبرز إشكالية الموضوع والمرتبطة بدراسة **ما مدى أهمية استغلال الشهادات الحية في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية**؟ و تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما المفهوم اللغوي والاصطلاحي للشهادات الحية؟.
- ما هي أهم أنواع الشهادات الحية ؟.
- كيف يتجلى دور الشهادات الحية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية؟

أولا - الإطار المفاهيمي للشهادات الحية:

قبل التطرق إلى الجانب التاريخي للشهادات الحية وجب علينا أن نعود إلى الأصول اللغوية والاصطلاحية لهذا المصطلح.

1-المفهوم اللغوي:

يقال أخبره خبرا قاطعا فلان لفلان بكذا، أي أدى ما عنده من شهادة، ويقال أيضا شهد على شهادة غيره وشهد بما سمع، وشاهده أي عاينه، وتعرف الشهادة أيضا بأنها الخبر القاطع فيقال شهد أي كعلم، وشاهده كسمعة، أما الشاهد فجمع شهود ويعني

حضور يقال حضور عاينوا وسمعوا، أما الشهادة في المنظور القانوني فهي أقوال الشهود أمام الجهات القضائية (مجموعة مؤلفين، 1990).

وتطلق الشهادة على عدة معاني أخرى، كشاهدة ويقصد بها الأرض يقال سقط على الشاهدة، ويقال أشهد بكذا أي أحلف، وامرأة مشهد أي حضر زوجها، والتشهد في الصلاة وهناك معنى آخر للشهادة وهو الشاهد وهي من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم (آبادي، 2008)، كما يمكن القول أن الشهادة تعني الدليل، البينة، وهي تعني الحجة، والقاعدة تقول أن الشهادة على من ادعى واليمين على من أنكر (الزناتي، 2007)، كما يرمز لفظ الشاهد إلى معنى المخبر بالحق القاطع ويقال استشهد بالبناء للمجهول وجاء من معنى المشهد بمعنى شهد وكأنه توكيد على حضوره في زمن حادثة في مكان معين (مرتاض، 2001).

2-المفهوم الاصطلاحي:

الجانب الاصطلاحي أو بمعنى أصح الجانب التاريخي فيه قيام الشخصية بالشهادة على التصرفات والأحداث التاريخية التي حدثت في فترة معينة، وتكون تلك الشهادة موثقة بالتوقيع أو الختم الخاص للراوي إن وجد في نهايتها (ميلاد، 1982)، وللشهادة مصطلح تاريخي آخر والذي يعرف بالرواية الشفوية لشهود عيان عايشوا أو صنعوا الأحداث أو كانوا طرفا فيها.

كما تعتبر الشهادة الحية أو الرواية الشفوية حوار يجريه المؤرخ أو الباحث الذي يتحول إلى محقق يجعل الشاهد يقوم باسترجاع ذكرياته حول الأحداث التي وقعت في الزمن الذي عاش فيه (سليمان، 2002)، وهنا نصل إلى أن صاحب الذاكرة يروي لنا اليوم ملاحظاته ومشاهداته عن أحداث الأمس.

ثانيا- تاريخ الشهادات الحية:

إن الحديث عن تاريخ الشهادات الحية هو مجال ضيق خاصة في تاريخ الثورة، حيث أن هذا المجال لم يلق تشجيعا من المسؤولين سواء المجاهدين أو الجهات المتخصصة لذلك، وقبل أن نستعرض أهم المراحل التي مرت بها الشهادة التاريخية، علينا أن نؤكد أن

هذه الشهادات مهما كان نوعها مفيدة خاصة إذا عرضت بشكل موضوعي وبعيدة عن التناقضات.

اعتمد التاريخ الشفهي في بداياته الأولى على روايات شهود العيان أو الشاهد لأحداث تاريخية معينة، حتى تطور علم التاريخ أكاديميا وكانت الأولوية في كتابة التاريخ على المواد الأرشيفية والوثائقية وتهميش الشواهد، ثم تم القبول التدريجي لها وكان التطور التكنولوجي وما سايره من السهولة إمكانية التسجيل السمعي والبصري للأشخاص والأحداث دورا في إحياء التاريخ الشفهي (عامر، 2005).

نلاحظ في البداية أن تخلي المؤرخين والباحثين الأكاديميين عن اعتماد الشهادات الحية في الكتابة التاريخية، جعل من المختصين في بعض العلوم والدراسات الأخرى، هم الذين يعتمدون على الشهادات الحية في دراستهم (يحياوي، 2015)، وهنا تجدر الإشارة إلى المختصين في الإعلام الذين اعتمدوا على الشهادات الحية في أبحاثهم الأكاديمية والعلمية وبخاصة ما تعلق بإعداد البرامج الوثائقية حول الثورة التحريرية.

لقد ظهر نوع من الدراسات التاريخية وعُرف باسم التاريخ الشفوي الذي هو عبارة عن تسجيل لذكريات الناس وتجاربهم في الماضي بطريقة تختلف عن المادة المكتوبة معتمدة على المحادثة المنضبطة بين شخصين، وقد يكون عبارة عن مجموعة من شهادات الناس حول تجاربهم المختلفة (عثماني، 2016)، إن تاريخ الرواية الشفوية يبين لنا مدى أهميتها في كتابة التاريخ والاعتماد عليها في عملية التوثيق واعتبارها من المصادر المهمة في كتابة التاريخ لأي بلد. وفي ظل غياب الأرشيف الوطني الذي استولت على معظمه فرنسا، عمد الباحثون في الجزائر إلى استغلال الشهادات الحية كمصدر للكتابة التاريخية خاصة في ظل التطور التكنولوجي لوسائل التسجيل والتصوير.

كانت المحاولات الأولى لجمع الوثائق مع بداية السبعينات، فبدأت مجموعة من الباحثين بجمع الجرائد والنشريات التي صدرت في الثورة وكذلك المؤلفات العربية والأجنبية، التي يمكن اللجوء إليها، حيث قامت وزارة المجاهدين بإنشاء المجلس الوطني لمتحف المجاهد، الذي قام بالشروع بحملة وطنية لجمع وثائق الثورة وتسجيل شهادات وروايات على أشرطة الفيديو، كما قامت إحدى المصالح المختصة في رئاسة الجمهورية

بمحاولة مماثلة في الحصول على معلومات كتابية من المجاهدين وجمع متحف الجيش والمجاهد كذلك مجموعة من الوثائق (الجندي، 2000).

هنا يمكن القول إن الشهادات الحية تعد إحدى آليات تحرير الأحداث التاريخية خاصة في ظل الظروف التي كانت تعيشها الثورة التحريرية، فهي تلقي الضوء على المواضيع السياسية والاجتماعية والعسكرية، وأنها تتأرجح بين المقابلة والمشافهة والتدوين (شلبي، 2006).

إن عملية جمع الوثائق ليست بالمهمة السهلة لأنها تشتمل على جمع مختلف الوثائق وتتبع المصادر المادية المتعلقة بالثورة، ثم تصنف هذه الوثائق وتحدد قواعد استعمالها لإعداد مرحلة التدوين بصفة نهائية ونحن لازلنا الآن في مرحلة جمع الشهادات والمصادر المادية المختلفة (بركات، 1995).

أدى تطور وسائل التسجيل كما ذكرنا آنفا إلى الاستفادة منها في عملية جمع الشهادات الحية، حيث ظهرت محاولة أخرى وذلك بمرور ربع قرن من اندلاع الثورة وكانت عن طريق الإذاعة الوطنية، وذلك بمبادرة من مدير القناة الأرضية، وهنا قامت بإعداد برنامج على مدار السنة وكان ما بين 1979 و1980، وقد تم التعاون مع المجاهدين وذلك تحت عنوان حوار حول الثورة، وقد قام تعديل هذا الحوار وإعادته وبلورته وطبعه من قبل دار موفم للنشر للاستفادة منه (يحياوي، 2015).

لقد أصبح الاعتماد على الشهادات الحية ضروري في ظل غياب للوثائق الأرشيفية وهذا لأن معظم الوثائق موجودة في أرشيف ما وراء البحار بإكس آن بروفانس بفرنسا (Archives Nationales D'outre-Mer Aix-en-Provence, France)، ولأن المقابلة الشخصية ضرورية وهي كالوثيقة في غياب الوثيقة الأم وحتى في وجود الوثيقة الأم نحتاج إلى هذه الشهادة، وذلك لأنها تعطي لنا فكرة عن الطابع الشاهد والمحيط العام، وكذلك تجربة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، فمنذ إنشائه منتصف التسعينات قام بعمليات كبرى في جمع الشهادات الهدف منها جمع معلومات فقط. ثم انتقل إلى الشهادات على شكل نمطية وذلك من خلال التسجيلات

الموضوعية حيث يحدد التسجيل حول موضوع ثم يجمع المجاهدين لدراسة هذا الموضوع (بركات، 1995).

هذه الشهادات الحية تنير فترات من تاريخ مجتمعنا خاصة عند فقدان الوثائق ويمكن له أن يبين حقائق من أشخاص عاشوا أحداث الثورة ولكنها تبقى بدون فائدة ما لم يتم تدوينها، وتفقد قيمتها بوفاة صاحبها وعلى الرغم مما تحتويه الشهادات من نقائص إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنها ولا التفريط فيها.

إضافة إلى تضافر الجهود بعض المؤرخين الذين حاولوا جمع الشهادات التاريخية واستغلالها في بحوثهم ودراستهم ومن بينهم الصحافي محمد عباس، حيث يقول :(الشهادة التاريخية رغبة قديمة عندي بدليل إنني بدأت منذ سنة 1973م، بتسجيل شهادات المجاهدين حول أبطال الثورة التحريرية، وهذا الحنين ما لبث أن عاودني ليصبح نوعا من التخصيص وذلك في 20 أوت 1984م (عباس، 2004).

إن هذه الشهادات ليست تاريخا جاهزا وإنما هي مادة أولية خام مسجلة أو مدونة تحتاج إلى التدقيق والمتابعة وفق منهج علمي أكاديمي، لتكون دليلا للمختصين والمهتمين بالبحث في تاريخنا المعاصر عموما وتاريخ الثورة التحريرية.

وهنا يمكن القول إن تاريخ الثورة سال فيه الكثير من الحبر ولكنه لا يتعدى بعض الخطوط العامة، والحوادث المشهورة بينما بقيت الكثير من الجزئيات بدون رصد ولا توثيق ولا كتابة، ولا سيما الحوادث والمعارك ونشاطات المنظمة المدنية والحياة الاجتماعية للمجاهدين، وعلاقاتهم بأسرهم والمجتمع، ولا يمكن التوصل إليها إلا بواسطة البحث والتنقيب وذلك من خلال تسجيل الشهادات الحية من الشهود الفاعلين الذين لا يكتمون الأخبار.

ثالثا- أنواع الشهادات الحية:

تتنوع الحقائق التاريخية وتختلف مصادرها، فمنها المكتوب والشفهي المروي على ألسنة الناس، والمادي الذي شهد أحداث خلدها التاريخ والجامع بين الشهادات الحية والرواية هو الخبر والذي يتحمل الصدق أو الكذب، والشهادة الحية تتمثل في الشهادة

المباشرة وهي الشهادة التي يسمعها المؤرخ بنفسه أو مدون الشهادة، والذي يجري الحوار أو يستجوب الشاهد ليميط اللثام عن الحقائق الغائبة، أو يستزيد من الأخبار المهمة هذه الشهادة مهمة وفي نفس الوقت خطيرة حيث أن المؤرخ يكون له الحرية في التصرف فيها عند تدوينها ومن بين هذه الشهادات:

1-الشهادات الحية للفاعلين في التاريخ:

وهي مجموعة من الأخبار التي يدلي بها صانع الحدث، المؤثر الحقيقي في الوقائع، مثل: القادة والمجاهدين والسياسيين وغيرهم أو من يكون قريب منهم، ولم يشارك في صنع الأحداث ولكنه شاهد عليها أي رآها تتفاعل أمام نظره، ويدعى شاهد عيان أو يروي الأحداث التي سمعها ويسمى الراوي وتكون قد وصلت إليه عن طريق الرواية وربما بالتواتر (غنابزية، 2014).

ومن أمثلة هذا النوع من الشهادات نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما أدلاه رئيس الجمهورية الجزائرية الراحل أحمد بن بلة رحمه الله بشهادته للصحفي الفرنسي "روبرت ميرل"، وقد نشرت هذه الشهادات في باريس في نهاية عام 1965م (لونيسي، 2012).

كما أدلى رابح بيطاط رحمه الله بشهادته وكان هذا الحوار في 12 جويلية 1998 فكان على شكل سؤال وجواب، والذي كشف عن حقائق هامة يمكن الاستفادة منها باعتباره أحد الفاعلين في الثورة (باتريك إفينو، 2022).

2-الشهادات المسجلة والمصورة:

وهي المسجلة بالصوت في الأشرطة والشرائح الالكترونية أو في الفيديوهات بالصوت والصورة، وتكون أثناء الحوارات أو المقابلات التي يحضر لها وتنطلق من أسئلة محضرة ودقيقة ومدروسة، وتحتفظ بها المكتبات والمراكز العلمية، وبعدها تطورت وسائل التكنولوجيا بحيث أصبح التسجيل سهلا (غنابزية، 2014).

ومن بين الأمثلة نذكر شهادة بن يوسف بن خدة والتي تحدث فيها عن العلاقة التي جمعته بمصالي الحاج حيث اعتبره شخصية مهمة والأب الروحي والحقيقي للحركة الوطنية من أجل استقلال الجزائر (باتريك إفينو، 2022).

3-الشهادات المدونة:

وهي الشهادات التي يدلي بها أصحابها وتكتب في الصحف والمجلات، أو تنشر في مذكرات خاصة، أحسنها ما يدون بخط اليد ويبوح بما شاهد أو فعل وعايش وقد تأتي المذكرات من خلال حوار مع الشاهد ويكون دور المؤرخ هو كتابة هذه المذكرات بكل أمانة وصدق (غنابزية، 2014).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشهادة المدونة تمر بثلاث مراحل: مرحلة جمع الشهادات وهنا يقوم الباحث بالإلمام بجميع الشهادات ومصطلحاتها أي مادة خام، ثم تأتي مرحلة التصميم لأننا قد نجد في الشهادة الواحدة عدة مواضيع لهذا يقوم الباحث بالتصنيف لكي تسهل قراءتها، بعدها تأتي مرحلة الدراسة والتحليل وهنا يأتي الدور المهم الذي يقوم به المؤرخ لكي تكون الشهادة جاهزة للاستغلال كمصدر.

يتضح لنا من خلال هذا الطرح أن الاختلاف في الشهادات يرجع في الخصائص التي تميز كل نوع، فالشهادة المباشرة تكون عليها عيون مراقبة لأنها نابغة من القادة، والشهادة المسجلة ترتبط بالوسائل المساعدة على ذلك، والشهادة المدونة تكون أكثر مصداقية لأن التدوين يحفظ الشهادة من التزييف وتكون لها أهمية أكثر من غيرها.

رابعا – دور الشهادات الحية:

تعتبر الشهادات الحية ذكريات شخصية سوف تضيع مع رحيل أصحابها، إن لم تسجل وتوثق، على أن تترك عملية المعالجة والنقد والتحليل للمؤرخين في وقت لاحق. ويبدو أن لهذا النوع من المصادر أهمية كبيرة تساهم في إثراء المصادر وتنويعها بغية توسيع مشارب المعرفة التاريخية (محمد مجاود، 2012).

1- استخدام الشهادات الحية كمصدر لتدوين تاريخ الثورة التحريرية:

إن دور الشهادات مهم جدا في جميع الميادين فلكل جانب أهميته، وكل جزء وقيمته ورغم أهمية هذا الموضوع ودوره الفعال إلا أنه لم يلحق من الدراسة ما يكفي أن يكون موضوعا ملما من جميع النواحي فهذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة لا يجب الاستهانة به حيث أنه قد يقودنا إلى مفاهيم جديدة وحقائق قد تثير جدلا كبيرا على الساحة التاريخية.

تعد الشهادات مصدرا من مصادر تاريخ الجزائر، حيث تعتمد كتابة تاريخ الشعوب والأمم عليها وتعتبر الأساس، وذلك لأن صناع الحدث أقرب من كل وثيقة، ولابد من أن ندرك قيمة هذا التاريخ الذي يجب أن نعطيه حقه، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله:(وتاريخ الثورة قطعة من التاريخ الوطني ولحداثته فهو أخطر مرحلة يكتب فيها وعنها ذلك أن أدعياء الحقيقة أحياء يرزقون، وأن أولادهم وأحفادهم أحياء يرزقون أيضا وأن خطواتهم ما تزال تسمع هنا وهناك وهم بالطبيعة البشرية يريدون أن تكون لهم مكانة في التاريخ وان يشكروا على ما فعلوا ولو كانوا لم يفعلوا إلا القليل، أو لم يفعلوا شيئا على الإطلاق....) (سعد الله، 2010).

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبارها من مصادر تاريخ الثورة ويمكن إضافتها إلى الوثائق المكتوبة والتي هي قليلة جدا، حيث أن أهم المصادر فقدت وصعب علينا معرفة التطورات الأحداث التاريخية دون اللجوء إلى فاعليها.

ومن خلال هذا يتضح لنا مدى أهميتها في كتابة تاريخ الثورة خاصة في معرفة الحقيقة التاريخية التي لا يعرفها إلا فاعليها الذين يعدون أبطالا، وإن الاعتماد على الشهادات، سواء أخذت من أفواه المجاهدين أو رويت عنهم، تعد مصدر ورصيد ثري وزاد ثمين يسد ثغرات عديدة في تاريخ الكفاح في شتى مجالاته وعلى مدار الحقبة الزمنية التي ولدت فيها الحقائق من رحم الثورة التحريرية، فكانت الضرورة تدعو إلى تسجيل شهادة الفاعلين في الثورة التحريرية، لأنها تبقى شاهدة على الأجيال (غنابزية، 2014).

تعتبر الشهادة الحية المرآة التي تعكس لنا شخصية الشاهد، لأنها من المصادر البديلة لكتابة التاريخ المعاصر ولا تقل أهمية عن الوثائق المكتوبة لأنها تحفظ جوانب من التاريخ، وبهذا تعطينا رصدا معرفيا في تاريخ الجزائر الذي لم يدون الأمر الذي يجعلنا في غاية الأهمية.

إن هذا المصدر أصبح لا غنى عنه لباحث أو مؤرخ الفترة الراهنة خاصة أمام غياب المصادر الأرشيفية، فتاريخ الثورة هو تاريخ حافل بالأحداث والوقائع، وبفضلها يمكننا إحداث تراكم معرفي ومنهجي، يساهم في فك الغموض الكبير الذي يلف الكثير من تفاصيل أحداث تاريخ الجزائر المعاصر، وتعتبر الشهادة الحية ضرورية لإكمال الحلقات المفقودة في

تاريخ هذا الوطن ولفهم حقائق التاريخ التي مرت به وبإنسانه حفاظا على الذاكرة الجماعية والتراث الوطني، وإيمانا منا بحماية ذاكرتنا المحلية والوطنية من الضياع (محمد الزين، 2014).

إن الدور الذي تقوم به الشهادات الحية مهم جدا وذلك في معرفة النشاط الثوري في مختلف المناطق والولايات الجزائرية بصفة عامة، فكل منها مصدر خام وذو أبعاد علمية أثرت على مستقبل الدراسات التاريخية وأصبحت أساسية لكتابة تاريخ الجزائر بصفة عامة وتاريخ الثورة بصفة خاصة (صالح بوسيلم، 2014).

إن هذا المصدر هو نابغ مِن مَن صنعوا أو شهدوا أو عايشوا الثورة بكل حيثياتها ومراحلها، فلا يمكن الاستغناء عن هذا المصدر الكاشف لأهم أحداث هذه المرحلة المهمة من تاريخ الجزائر المعاصر.

تقوم الشهادات الحية على الذاكرة وهذه الأخيرة تقوم بإعادة وتركيب أحداث تلك الفترة المراد الكشف عن ماضيها والاستفادة منها في معرفة تاريخ معارك الثورة، فقد سمحت لنا بمعرفة الأشياء التي غابت عنا كأسماء المعتقلات وأماكنهم وعن أنواع التعذيب الذي كان يتعرض له المعتقلون في سجون الاحتلال الفرنسي والوسائل المستعملة فيها، وكذلك عن الاتصالات التي كانت في الداخل والخارج (صالح بوسيلم، 2014).

هذه الشهادات تظهر لنا الحقيقة التاريخية ولو بصفة نسبية وإعطاء المجاهدين المكانة اللائقة بهم، وإبراز الإسهامات الكبيرة التي قدمت من أجل تحرير الجزائر أثناء الاحتلال وبعدها، تمكننا من معرفة النضال العسكري والسياسي وتوضيح وسائله التي استعملت في الثورة، وهذه المصادر تعطينا لمحة عن الأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها الجزائر، وكيف واجهتها، وهنا تمنحنا تصورا جليا عن الإيمان الذي كان يسكن المجاهدين فليس قول كلمة أن الثورة كانت مباركة عشوائيا، ولكن من خلال توصيل ما كان يشعر به المجاهد عندما يدلي بشهادته أو يكتبها، نتعرف من خلالها على الدور الذي كان يقوم به المجاهد، وإزالة الغبار على كثير من الأحداث التاريخية الحاسمة التي عرفتها الجزائر خاصة في الفترة الممتدة من سنة 1954 إلى سنة 1962م (علي كافي، 2011).

إن للشهادات دور تعدى معرفة تاريخ الثورة الذي نستفيد منه على المستوى الوطني، بحيث أعطى للعالم نظرة عن ثورتنا وعن الإنجازات التي قام بها الشعب الجزائري، من أجل تحقيق غايته النبيلة التي ضحت لها الأرواح، فكان دورها التاريخي مثال حي للشعوب الأخرى وذلك من خلال التأثر والتأثير فيهم (إحدادن، 2012).

إن وظيفة الشهادات الحية أساسية حيث تكشف لنا جوانب خفية من مراحل معينة من تاريخ الثورة، التي عاشها المجاهد حيث استطاعت أن تكشف لنا البعض من جوانب الحقيقة، وأن تفتح مجالا خصبا للنقاش والجدل وبالتالي تساهم في تصحيح التاريخ والذي يعد من مهام الباحثين والمؤرخين.

2- **دور الشهادات الحية بالنسبة للباحثين الأكاديميين:**

تمثل الشهادات الحية بالنسبة للباحثين والمؤرخين مادة مصدرية إذ يعتمد عليها في مثل هذه المواضيع ذات الصلة بتاريخ الثورة التحريرية، وباعتبارها مادة خام قد تعترضه أنواع من الشهادات وهنا يجب عليه التمحيص والنقد، وهذا من أجل عرض الحقيقة فقط، واستغلال هذه الشهادة كتابة تاريخ كِتابةً بحيث تدون تلك المعلومات المصرح بها بموضوعية.

إن الباحث أو المؤرخ هو الذي يوجه القارئ إلى معلومات موضوعية استقاها من الشهادات الحية أو المذكرات الشخصية ويضعها في قالب بحيث تكون جاهزة للاستغلال فإن كل منهما مكملا للآخر.

يظهر كذلك دوره في محاورة الأحياء منهم ويستطيع أن يكشف عن سيكولوجية الأفراد تجاه مواقف تاريخية معينة شاركوا في صنعها، ومعنى أن الحوار مع المجاهد يظهره بكامل صفاته بما في ذلك من شجاعة وضعف وتقود الباحث إلى معرفة أكثر عمقا بأحداث الماضي (محمد الزين، 2014).

فالمؤرخ أو الباحث في هذه الحالة يعيش الأحداث التاريخية التي يتتبعها عبر المشاركين فيها، أو ممن سمعها مشافهة من الفاعلين وله في الوقت ذاته إمكانية الحوار المباشر معهم، كما يستفيد المؤرخ بطريقة مباشرة من الانطباع العام الذي تركته الأحداث

اللاحقة في نفس الفرد الذي شارك في صنع الحدث أو شهده أو سمعه ممن شهده، وهذا بدوره يساهم في ضبط الاستنتاجات العلمية التي يتوصل إليها الباحث وأيضا عن طريق اكتشاف حقيقة الأهداف التي توخاها أولئك الناس من صنع أحداث محددة (صالح بوسيلم، 2014).

إن الجمع بين ما ورد في المذكرات من حقائق وأسرار وفي الشهادات من انطباعات المجاهدين تمكن الباحث من إثراء البحث التاريخي، وتعميق مفاهيمه وتوضيح جوانب حركة الكفاح الوطني، حيث أصبح للباحث رغبة في معرفة ما تحتويه هذه الشهادات والمذكرات وهذا من أجل كتابة تاريخ الجزائر.

والملاحظ أنه كان لاهتمام الأكاديميين الجزائريين بالتاريخ العسكري للثورة وذلك من خلال ترجمتهم لمختلف المذكرات والشهادات، وإخضاعهم للنقد والتمحيص فعلى الرغم من سرد الأحداث والمعارك إلا أنه يجب التأكد منها، ومن هذه الأهمية تبين لنا أن معظم الذين كتبوا في المجال العسكري كانت روايات عسكرية بالدرجة الأولى، فما أحوجنا إلى استلهام العبر من أعمال الرجال الذين صنعوا التاريخ قبل أن يصنعهم التاريخ، وشاءت الأقدار أن يعيشوا ويكتبوا ذكرياتهم لتبقى مادة ثرية يستفيد منها أبناء هذا الوطن، قد تروي لنا معارك يمكن أن تبين لنا مدى أهميتها وتبين مدى وجود القدرات المادية والبشرية، وقد تتلقى أصداء متباينة وقد تدعوا إلى الجدل (نزار، 2002).

هذه الشهادات تعطي دافعا قويا للباحث من أجل دراسة هذه المساهمات وتقييمها للقراء في حلتها المنقحة والمصححة، ففي كل مرة يضع المجاهدين بين أيدي الباحثين والدارسين جانبا من تراثنا الفكري، وهنا تجدر الإشارة إلى شهادة محمد مشاطي التي اعتبرت شهادة نادرة لعضو من أعضاء مجموعة 22، الذي أعطانا لمحة عن حياته في الوسط القسنطيني، الذي احتضنه وزوده بالمعارف الأولى، وأمدنا نظرة عن العائلات الصغيرة والكبيرة وأطلعنا أيضا عن الروابط التي تجمع مجموعات الانتماء سواء كانت في العرق أو الدين أو الجيرة، يعرفنا على وجوه مؤثرة لم يسجل التاريخ أسماءها دائما، لنفهم أكثر الحيز الذي أخذته بعض الشخصيات في الحياة السياسية أو الدينية في مدينة

قسنطينة، ويرشدنا إلى الوسائل التي استعملها المناصرون الأوائل للاستقلال، قدم لنا نصاً سيساهم دون شك في كتابة التاريخ (مشاطي، 2010).

3- **دور الشهادات الحية بالنسبة للمجتمع:**

تشكل الشهادات الحية المدخل الأساسي لدراسة نشاط وأعمال السلطة والمجتمع والعلاقة التي ربطتهم ببعضهم البعض من خلال التأثير والتأثر المتبادل بينها من خلال الأحداث التي عاشتها مرحلة الثورة التحريرية، إذ تساهم في وصف الواقع الاجتماعي للمجتمعات التي خضعت للمحتل خاصة بعد تحررها منه (محمد الزين، 2014)، وهنا تكشف عن سيكولوجية الأفراد اتجاه مواقف تاريخية معينة وبالتالي الوصول بالفرد الجزائري إلى إدراك ما مدى قيمة الحرية التي ينعم بها وكيف يحافظ عليها بكل ما أتيح له من إمكانيات مادية ومعنوية، لذا أصبح دراسة الثورة في سياقها التاريخي العام لفهم تطور الشعب الجزائري الرافض للاستعباد والمستعد للتضحية من أجل حريته وكرامته (سعيدوني، 2013).

خاتمة:

خلاصة القول، مما توصلنا إليه بِناءً على هذه الدراسة التاريخية الموسومة بـ : **"استغلال الشهادات الحية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية"**، تمكنا من الوقوف على جملة من الاستنتاجات المتعلقة بإحدى أهم المصادر التي لها دور كبير في تدوين تاريخ الثورة مِنْ مَن كانوا فاعلين في الحدث أو صانعيه أو شهود عليه، نسجل أهم نتائجها بإيجاز فيما يلي:

- الشهادات الحية هي عبارة سرد لأحداث ماضية لها شأن كبير، إذ تعبر بالمفهوم الوطني على مسيرة نضال المجاهد الذي كان جزء من الحياة الثورية، فهي حقائق تستخرج من أفواه صانعي الحدث خلال فترة تاريخ الثورة التحريرية.
- إن الاعتماد على الشهادات الحية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية، سواء أخذ من أفواه المجاهدين، أو نقلا عنهم، هي معلم أساسي للتدوين لا يعوضه غيره.

- تنوع الشهادات الحية في عدة مجالات وقد جاءت معظمها لمعالجة قضايا حساسة في عمق الثورة، ولعل أبرز هذه الأنواع إن لم نقل أهمها العسكرية، والسياسية، وبصفة أقل الاجتماعية، وذلك لما احتوته من مساهمة فعلية في توضيح بعض المفاهيم الثورية، والتي قمنا بمعالجتها في مجموعة من الشهادات، والتي كان اختيارها ليس بمحض الصدفة وإنما بما يخدم الموضوع.

- أنواع الشهادات والتي تنوعت بين الشهادة عن طريق المقابلة والشهادة عن طريق الشريط المسجل وكذا عن طريق اللقاءات خاصة في الملتقيات كل لها خصائصها المختلفة عن الأخرى، وللوصول للحقيقة الثابتة من تلك الشهادات الحية لابد أن نمررها على معيار الذاتية والموضوعية وهي مسار يكشف عن نفسية الشهود وتوجهاتهم.

- التوظيف الصحيح للشهادات الحية، يخضع للمنهجية العلمية بكل عناصرها، وهذا من أجل تحقيق الموضوعية، التي تنبثق على المنهج العلمي وترتكز عليه، لأن مهام الباحث الأكاديمي والمؤرخ رصد الحقيقة التاريخية.

- الشهادات الحية تساهم في سد فراغ الوثائق المفقودة، كالوثائق الأرشيفية المتعلقة بتاريخ الثورة التحريرية، ومنها من تم تقييمها والتعليق عليها، ولم يمض عليها فترة من الزمن، وهذه نقاط قوتها، إذ أنها أتاحت دراسة التاريخ من الأسفل أو القادة إن صح القول، فسمحت هذه الشهادات مثلا بمعرفة أنواع التعذيب، الذي يتعرض له المعتقلون في سجون الاحتلال الفرنسي.

- قد تعترض الشهادات نقاط ضعف منها ما تعلق بظرفية الشهادة الحية إذ من الصعب أن ترضي الشاهد، وترضي التاريخ في الوقت نفسه، وهنا تظهر قيمة روح البحث لدى الباحث والمؤرخ في امتلاك أدوات المنهج العلمي لتقصي الحقيقة، وأخرجها بما يخدم الموضوعية التاريخية.

- تبقى الشهادة الحية دون فائدة ما لم يتم تدوينها أو تسجيلها، وتفقد قيمتها بوفاة صاحبها، على الرغم مما تحتويه الشهادات من نقائص، إلا أنها تبقى مادة خام

يجب استغلالها بالشكل الايجابي لخدمة التاريخ الوطني، لنقل أهم الأحداث التي عرفتها الثورة التحريرية.

- استغلال الشهادة الحية في البحث الأكاديمي من شأنها أن تُكوِن جيل متزن، يمتهن المواطنة باحترافية، وهذا من خلال التواصل الذي يتم عقده ما بين جيل أول نوفمبر 1954 وجيل اليوم.

بما أن تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954م، ملك لجميع الجزائريين، فالواجب يفرض على الجيل الذي كان فاعلا في أحداثها أو عايشها أن يدلي بشهادته بأمانة إلى الجيل اللاحق، كما يفرض الواجب مرة أخرى على المهتمين بتاريخ ثورة الفاتح نوفمبر 1954 التعاون مع هؤلاء الفاعلين لإيجاد أفضل الأساليب، وتحديد المنهجية العلمية الأكاديمية الرامية إلى دراسة تاريخ الثورة بطريقة سليمة تصونه من الإتلاف والضياع.

قائمة المراجع:

آبادي, م .ب .(2008) .قاموس المحيط .القاهرة :دار الحديث.

إحدادن, ز .(2012) .شخصيات ومواقف تاريخية .الجزائر :منشورات دحلب.

آخرون باتريك إفينو. (2022). حرب الجزائر ملف وشهادات، تر: سلامنية بن داوود. الجزائر: دار الوعي.

الجندي, خ .(2000) .حوار حول الثورة .الجزائر :دار موفم للنشر والتوزيع.

الزناتي, ن .م .(2007) .قاموس المصطلحات التاريخية)انجليزي، عربي، إسلامي، وسيط، حديث ومعاصر .(مصر :مكتبة الأنجلو المصرية.

بركات, أ .(1995) .محاضرات ودراسات أدبية حول الجزائر .الجزائر :منشورات متحف المجاهد.

سعد الله, ا .(2010) .حاطب أوراق .الجزائر :عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

سعيدوني, ن .ا .(2013) .الجزائر منطلقات وأفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية .الجزائر :دار البصائر.

سليمان, ز .ب .(2002) .مدخل إلى التاريخ .تونس :مركز النشر الجامعي.

شلبي, ع .(2006) .الرواية التاريخية بين المشافهة والتدوين .فلسطين :مركز المعرفة الرقمي.

صالح بوسيلم ,2014) .ديسمبر .(12-11استخدام الرواية الشفوية كمصدر لتدوين تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية .ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جمع الشهادات الحية لمتحف المجاهد.86 .p ,

عامر ,أ .(2005) .التاريخ الشفوي تاريخ يغفله التاريخ .مجلة الروزنامة.(05)

عباس ,م .(2004) .رواد الوطنية، شهادات 28شخصية وطنية .الجزائر :دار هومة.

عثماني ,ا .(2016) .ضوابط منهجية في آليات إجراء المقابلة الشخصية في الرواية الشفوية .مجلة الذاكرة.264 ,(01)04 ,

علي كافي .(2011) .مذكرات علي كافي –من المناضل السياسي إلى القائد العسكري – 1946) .(1962الجزائر :دار القصبة للنشر.

غنابزية ,ع ,2014) .ديسمبر .(12-11الجدلية الموضوعية بين الشهادات الخبرية وبين كتابة تاريخ الثورة التحريرية .ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جمع الشهادات الحية لمتحف المجاهد.47 .p ,

لونيسي ,ر .(2012) .دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية .2012الجزائر :دار كوكب العلوم.

مجموعة مؤلفين .(1990) .معجم الوسيط .بيروت :دار الغرب الإسلامي.

محمد الزين ,2014) .ديسمبر .(12-11الرواية الشفوية بين القبول والرفض في الكتابة التاريخية . ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جمع الشهادات الحية لمتحف المجاهد.74 .p ,

محمد مجاود .(2012) .أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية .مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية.07 ,

مرتاض ,ع .ا .(2001) .دليل مصطلحات الثورة التحريرية .1962 – 1954الجزائر :المطبعة الحديثة للفنون المطبعية.

مشاطي ,م .(2010) .مسار مناضل، تر :زينب قبي .الجزائر :منشورات الشهاب.

ميلاد ,س .ع .(1982) .قاموس المصطلحات والوثائق والأرشيف والمعلومات .مصر :الدار المصرية اللبنانية.

نزار ,خ .(2002) .روايات ومعارك 1962 – 1958، تر :مهني حمدوش .الجزائر :منشورات الشهاب.

يحياوي ,ج ,2015) .ديسمبر .(12-11الشهادات الحية آلية من آليات التحرر .ملتقى حول المقاربات الأكاديمية في جمع الشهادات الحية لمتحف المجاهد .بسكرة.